

الغزل

في شعر امرئ القيس

م.د. محمد عبد الرضا جاسم

جامعة ميسان/ كلية القانون

المقدمة

الحمد لله حمداً دائماً لا ينقطع أبداً ولا يُحصى له الخلائق عدداً وصلى الله على محمد رسول الهدى وعلى اله أئمة الورى ..

وبعد

يظل الشعر الجاهلي ثرياً .. يبعث في النفس إحساساً بالميل إلى الكتابة في ميدانه وتشدُّ الباحث لغته وأسلوبه إذ يلتقي نصوصاً أدبية تشتمل على خصائص فنية وجمالية لها أهميتها وقيمتها فجاء اختيار الباحث شعر امرئ القيس ولا سيما غزله موضوعاً لهذا البحث .

وقد اقتضت طبيعة البحث ان يجيء في فصول ثلاثة يسبقها التمهيد والمقدمة وتتأخر عنها الخاتمة ..

في التمهيد أوجز الباحث القول في نشأة الشاعر وحياته مسلطاً الضوء على خصائص تجربته الشعرية .

أما الفصل الأول فجاء بعنوان (بواعث غزل امرئ القيس) إذ استوعب البواعث الاجتماعية والنفسية والبواعث الأخرى المتصلة بشخصيته الفريدة وكل ذلك كان بإيجاز شديد مع الإشارة إلى الشواهد الدالة .

وجاء الفصل الثاني ليدرس السمات الموضوعية والأسلوبية التي تميز بها غزل الشاعر والتي أصبحت طابعاً مميزاً لهذا الغزل الذي شغل النقاد قديمهم وحديثهم .

أما الفصل الثالث فقد تكفل بالدراسة الفنية التي تضمنت ثلاثة مباحث .

المبحث الأول تحدث فيه الباحث عن لغة الشاعر وأسلوبه متعرضاً لمعجمه الشعري ، ثم

جاء المبحث الثاني متضمناً البناء الصوتي (الموسيقى)

وضمن نمطين :

الأول : ما يعرف بالبنية الإيقاعية الخارجية المشتمة على البحور الشعرية والقوافي ، مهتدياً بالنماذج التطبيقية .

وجاء النمط الثاني ليقدم إيجازاً عن عناصر الموسيقى الداخلية في غزل امرئ القيس مكتفياً بأهمها وهي التقسيم المقطعي ثم التكرار الحرفي وتكرار الألفاظ والتراكيب

وغيرها من المفاصل الموسيقية

أما المبحث الثالث في هذا الفصل فقد حاول الباحث ان يلّم بالصورة الشعرية في غزل الشاعر وعناصرها الخيالية .. وأشار إلى أنماطها المعروفة وهي الصورة التشبيهية

والصورة الاستعارية والصورة الكنائية .
ثم ختم الباحث دراسته بنتيجةٍ توجز الشخصية الفنية لهذا الشاعر .

والله وليُّ التوفيق

التمهيد
إن المتأمل في الأدب الجاهلي أو الأدب ما قبل الإسلام يجده متوزعا بين الشعر والنثر..

إلا أن الشعر فيه يحتل مرتبة عليا.. فانه مر بأطوار وأزمان طويلة حتى أستوى على سوقه على يد الشاعر امرئ القيس وإضرابه من فحول الجاهلية وهذا ما ظهر جليا في المعلقات التي كانت على مستوى عالٍ من النضج الفني .. فمن هنا تميزت القصيدة العربية القديمة بخصائص وسمات دقيقة جعلتها قيماً اتخذها الشعراء وساروا عليها في عصور الشعر اللاحقة .. لأنَّ القصيدة الجاهلية تركت لنا تجربة شعرية زخرت بالمعاني والأحاسيس والمشاعر النفسية فهي لم تعد تمثيلاً لحياة العرب في الجاهلية فحسب وإنما كانت هناك أسباب عديدة جعلت التجربة الشعرية في القصيدة الجاهلية تثير إعجاب الدارسين المستمر.. لأنها تجربة ليست ضيقة معزولة في حدود البيئة الجاهلية، بل هي تجربة إنسانية عامة.. حافلة بالمواقف والرؤى الشعرية الخاصة والعامّة عن الحياة (١) .. وشاعرنا امرؤ القيس الذي ظل تاريخ ميلاده مجهولاً إلا أنه شاعر جاهلي فحل، وضعه ابن سلام في مقدمة الطبقة الأولى من فحول شعراء الجاهلية .. إذ نلمح في شعره معنى خاص يشكل خصيصة من خصائص تجربته الشعرية.. فهو يبكي الحبيب والمنزل، ويكشف عن توتره بانقضاء الحياة .. ولكنه مقابل ذلك يرى في الحياة مجالاً مهماً للهو واللعب.. فمن هنا كانت تجربته الشعرية لصيقة بحياته التي صرفها إلى حياة اللهو.. فلذلك وأنت تقرا شعره تجد فيه صورة كاملة من حياته وخُلُقِه، ففيه (عزة الملوك، وتبذل الصعلوك، وعردة الماجن، وحمية الثائر، وشكوى الموتور، وذلة الشريد) (٢)

الفصل الأول

بواعث غزل امرئ القيس

(١) ينظر الشعر الجاهلي دراسة في تاويلاته النفسية والفنية، د. سعد حسون، مطبعة دار دجلة، الأردن، عمان، ٢٠٠٧، ص ٣٧.

(٢) تاريخ الادب العربي، احمد حسن الزيات، ط ١٣، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

أولاً : الباعث الاجتماعي
ثانياً : الباعث النفسي
ثالثاً : بواعث أخر

أولاً :

الباعث الاجتماعي :

ان الدوافع التي تبعث في نفس الشاعر الرغبة في قول الشعر ((وضع الشاعر الاجتماعي ومكانته . فإذا كان شريفاً فإن انبعائه إلى قول الشعر يكون عن دافع شخصي قوي أقوى مما يدفع شاعراً آخر من رغبة في طلب الشهرة أو العز أو مال)) "١".
وان أردنا ان نعرف الغزل .. لا بد لنا من معرفة مبعث ذلك الغزل .. وبواعث غزل الشاعر قد لا تقتصر على باعث واحد بل هناك عدة بواعث قد تكون لشاعر واحد فمن بواعث الغزل في شعر امرؤ القيس نراها مجتمعة لديه متفرقة عند غيره ويتصدر هذه البواعث ما كان عليه الشاعر من وضع اجتماعي خاص دفعه إلى ان يسلك سلوكاً قوامه المجون واللهو والعبث مع مجموعة من الأصدقاء الذين مالوا معه إلى سلوكه هذا بعيداً عن سلطة الإباء والأعراف السائدة آنذاك .. حيث ان الشاعر ينحدر من سلالة ملكية .. والسلالات الملكية عادة تتميز بالترف والسعة من العيش فالشباب العاشق منها يكون قد تهيأت له أسباب الرفاه فلا يفكر في غير معشوقته ووصالها ونيل شهواته منها .. خاصة إذا كان شاعراً مثل امرئ القيس حيث الجاه والسلطان وسعة من العيش جعلت هذا الشاعر الشاب المتنعم في ظل حكم جده وأبيه معشوقاً وعاشقاً من فتيات القبائل خاصة الخاضعة لحكم سلالته .. مما حدا به ان يُصرح في حبه وحبيبته متجرعاً في وصفه متخطياً لما ألفه المجتمع من حدود اجتماعية كان واجباً عليه ان يقف عندها إلا أن للجاه والسلطان الذي كان يتمتع به الشاعر اثر مباشر في تخطيه تلك الحدود الاجتماعية التي ألفها مجتمعه حيث انه صرح بأسم حبيبته في قوله "٢":

أفاطمُ مهلاً بعض هذا التدلل
وان كنت قد أزمعت صرمي فأجملي
وهو واسع الخيال لتقلبه في النعيم والسلطان كما انه كثير الإسفار في الحضر والبادية
عاشقاً للشعر كعشقه لمحبووبته فكان ((أحسن الناس ابتداء قصيد في الجاهلية ...)) حيث يقول :

إلا عم صباحاً أيها الظل البالي
وهل يعمن من كان في العصر الخالي

١ - ينظر: محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، د. ابتسام مرهون الصفار، د. ناصر حلاوي، ط ٢، ١٩٩٩م، ص ٣٢٠.

٢ - شرح المعلمات السبع للزوزني/ ضبط محمد علي حمد الله / المكتبة الاموية - دمشق - ١٩٦٣، ص ٢٢.

وإذ يقول: "٣"

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وكثير من شعره ما يمثل حياته اللاهية وترفه في بدء شبابه حيث خروجه للصيد بالطهارة الذين ((يطهون له ولصحبه ما يصيد)) "٤" ، وبفضل الوضع الاجتماعي والمكانة الرفيعة فضّل امرؤ القيس على غيره من الشعراء ((لأنه شاعر مطبوع علا بسجيته من غير طمع ولا جزع)) "٥" فهذا الوضع الاجتماعي الذي تميز عن غيره من الأوضاع الاجتماعية التي عاشها شعراء آخرون هياً أسباباً للشاعر ان يحيا حياة خاصة تقوم على العبث واللهو وشرب الخمر بعيداً عن أنظار سراة القبيلة فلهوه في شبابه وعبثه آت من هذه المكانة وهذا الحال الميسور فاتخذ الشاعر لنفسه منهجاً حيث رافقه لداته ينفق عليهم الاموال ويشرب معهم الخمر جهاراً يتغزل غزلاً فاضحاً مستجيباً لدواعي الغريزة والعبث والمجون . فلا غرابة ان يقول الشاعر (وهو المطبوع) على قول الشعر شعراً غزلياً كثيراً يتسم بالحسية المفرطة والاستهتار بالوصف المادي لمفاتن المراه ووصف حالة الخلو بها والنيل منها بما يريده العابثون أمثاله . ولعل المعلقة واللامية الأخرى وكثيراً من المقطعات تقف شواهد على هذا الغزل المستجيب للوضع الاجتماعي الذي طبع حياة الشاعر ولا سيما في سنيه الأولى حيث كان لاهياً غير آبه بملك أبيه أو جده قبله .

ثانياً : الباعث النفسي

من الحالات النفسية ما يعين الشاعر على بعث قريحته وانثيال معان وأفكار هو بحاجة إليها .. منها كما يرى بعض أهل الأدب ((من ان حسب الشاعر عون على صناعته)) وكما يرى ابن رشيق ((إن للحالة المادية من فقر وغنى أثراً كبيراً في تقوية الدافع النفسي وبعث الحافز على قول الشعر لما يتركه الغنى والفقر من اثر في نفسية الشاعر)) "٦"

كما ان جيد الشعر هو ما يصدر عن رغبة حقيقية في نفس الشاعر .. وشاعرنا (امرؤ القيس) توافر له هذا الدافع النفسي حيث أنّ الغنى والفقر لم يؤثر في نفسيته فقد تهيأت له أسباب الرفاه والعيش الرغيد كونه من عائلة أو سلاله مالكة توافرت لها فرص الترف فهو إذن لا يلتفت إلى التفكير بكيفية غناه أو فقره .. إضافة إلى ذلك فإن النساء تصبو إلى الاقتران بأولاد الملوك من اجل ما ذكرنا من سعة العيش والرفاه وتتودد وتحبب إليهم فضلاً عن صفاء باله من التفكير بالملك والمملكة كونه قد عاش أيام شبابه في ظل حكم

٣ - ينظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج ٢٤ ، تحقيق عبد الكريم الغريباوي والدكتور عبد العزيز مطر اشرف محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ م ، ص ٢٦ .

٤ - ينظر : أشعار الشعراء الستة الجاهليين ، الأعلام الشتنمري ط ١ ، در الإقامة الجديدة بيروت، ١٩٧٩ ، ص ١٩ .

٥ - ينظر محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، ص ٣١٣ .

٦ - ينظر محاضرات في تاريخ النقد عند العرب ، ص ٣١٥-٣١٦ .

جده وأبيه كما كان لبعده عن أبيه الأثر الكبير في تفرغه للملذات والشهوات وفي مقدمتها النساء .. لذا أصبحت المرأة هي شغله الشاغل في فترة حياته اللاهية فتفنن في وصف محاسنها ومفاتها حتى انه لم يقف عند حد من حدود الشعر التي يفرضها عليه المجتمع القبلي البدوي آنذاك إنما تخطى ذلك إلى التصريح المعلن بالحب وبالغزل باسم محبوبته دون ان يكون هنالك رادع يردعه عن التصريح باسمها - فنجده يقول مصرحاً باسم عنيزه: "٧"

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً
فقلت لها سيرى وأرخي زمامه
ولو اطلعنا على أشعار امرئ القيس فقلما نجد قصيدة أو مقطوعة تخلو من غزل أو تشبيب أو وصف مسهب لمحاسن واحدة من محبوباته أو أكثر ولو جدنا ان أسماء النساء قد تعددت في شعره مما يدل على أن الشاعر كانت المرأة قد احتلت جزءاً مهماً من حياته حتى في كبره فهو بقي ميالاً لهنّ كما يصرح في بعض أشعاره مبيناً رفض إحدى النساء له زاعمة انه كبر وإنما قد تتطلع إلى رجل شاب فهو يقول "٨".

ألا زعمت بسباسة اليوم أني
كبرت وأن لا يحسنّ اللهو أمثالي
كذبت لقد أصبى على المرء عرسه
وأمنع عرسي أن يُزّن بها الخالي

وحاصل ما نريد ان نؤكد في هذا الباعث المهم (الباعث النفسي) انه كان مسؤولاً عن كثير من قصائد امرئ القيس ومقطعاته الغزلية لأن القوى النفسية هي وراء بعث المخيلة والمعاني المتعددة التي صاغها امرؤ القيس بقوالب شعرية ناجحة. فتجربته الشعرية ولا سيما في غزله كانت تصدر عن نفس مليئة بالهواجس المقلقلة المعبرة عن طوايا نفسه العميقة ونحن نقدر ان معاناة نفسية كانت تُسبّر غزل الشاعر وتؤطر معانيه لذا لجأ الشاعر خلافاً لبقية الشعراء الذين جاؤوا بعده إلى التغزل بالمرأة غزلاً حسيماً مفراطاً غير متورع عن وصف ما يتخيله انه وقع أو سيقع مع اللواتي يمارس معهن التشبيب والمداعبة بل تجاوز ذلك كله ليصف لنا ممارسته العمل الجنسي مع من يتغزل بهن وليس في الشعر العربي قبل الإسلام شاعر جاهر بالزنى إلى القدر الذي تراه في ديوان امرئ القيس .

والباحث يعول على قراءته لديوان امرئ القيس فيكتشف تعليلاً لهذا النوع من الغزل الفاحش الذي تعمد الشاعر ان يجيء بأسماء معشوقاته أو ان يأتي بهن مكناة .. والتعليل في رأينا ينبثق مما ذكره الرواة عن شخصية امرئ القيس إذ أنّ جانباً من هذه الشخصية وهو ما يتعلق بعدم إقبال النساء عليه ، كان الرواة يؤكدون ان الشاعر كان ثقيلاً على النساء وكنّ يكرهنه وكأما كان ثقيلاً وهو يؤدي مع المرأة المداعبة والجنس بيد ان رواة آخرين اتهموه بالضعف الجنسي لذا انبرى الشاعر - وكرد فعل منه-مكابراً معلناً

٧ - شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٧-١٩ .

٨ - ينظر الشعر والشعراء ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط٢ ، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٦٥ .

ومجاهراً بقدرته الجنسية المزعومة لذا كان يفرض في وصف قوة غريزته الجنسية وانه لا يمل اللقاء بمعشوقاته لذا وصف لقاءه بهنّ بأنه كان شاملاً اثنتين اثنتين أو جماعات كما هو واضح من معلقته وقصائده الأخرى .

ثالثاً : بواعث أخر

كثيرة هي الحالات التي تعين الشاعر على قول الشعر بفنونه المختلفة .. كالغزل والرثاء والمديح والهجاء وغيرها من فنون الأدب ولكن قد تختص بعضها بفن معين ولا تصلح لغيره كما تكون الخلوة في ذكر الأحباب من دواعي قول الغزل لكنها لا تصلح مثلاً للهجاء والمديح وهذا ما كان عليه شاعرنا (امرو القيس) من خلوة دائمة بحكم بعده عن قبيلته وقومه وتجواله في بطون الأودية والرياض فكان لجمال الطبيعة أيضاً اثر واضح في تفتح ذهنية الشاعر وبعث قريحته حيث كان يربط بين جمال تلك الطبيعة وجمال المرأة كما كان لاختيار وقت الليل خاصة سحره داعياً من دواعي قول الشعر الذي يربط فيه بين الغزل والوصف "١٠" فهو يقول "١٠":

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي

كما ان هناك دوافع خارجية تهيء النفس وتبعث فيها الرغبة في قول الشعر ((حسب مزاج الشاعر وعاداته ودينه في الحياة)) مثل شرب الخمر حيث تطيب النفس ويدخلها النشاط والأريحية وهذا ما عاش عليه امرؤ القيس في حياته ، ولظاهرة العشق هي أقوى داع من دواعي قول الغزل حيث يرى العاشق في الشعر والتعبير عن حبه ترويحاً لنفسه من كبت الوجد والهيمان كما قال بعض الأدباء والشعراء (من أراد ان يقول فليعشق فإنه يرق) "١١" وهذا شاعرنا العاشق يعبر عن حبه واصفاً حاله يوم ظعن أهل محبوبته كمستخرج حب الحنظل الذي لا يملك سيلان دمه كما لا يملك من اشتد شوقه وحزنه سيلان دمه .. يقول "١٢":

كأني غداة البين يوم تحملوا لذي سمرات الحي ناقف حنظل

وثمة دواع أخرى تبعث على قول الغزل أجدها توافرت في تفكير امرئ القيس وفي تصوراتها لما يحيطه من الناس والأشياء ولعل في مقدمة هذه البواعث الأخرى التي سميتها في هذا المبحث هي (القدرية) إذ ان الشاعر كان يؤمن إيماناً مطلقاً بأن القدر مسلط على الإنسان وليس هنالك اختيار ينجي المرء من برائن هذا القدر الفتاك فقضية (الموت والفناء) كانت الشغل الذي يجعل امرأ القيس يهرب من واقعه النفسي وصراعه المرير مع القدر إلى عالم أرحب وأوسع في رأيه هو عالم النساء حيث يروح الشاعر عن ذهنه وباله بما يذكره من أوصافهنّ من كثرة أسمائهنّ وما جرى له معهن في الخلوات مصوراً تهالكهن عليه غير مكترثات لأزواجهن أو أطفالهن متخطيات العادات والتقاليد.

٩ - ينظر محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، ص ٣١٩-٣٢١.

١٠ - ديوان امرئ القيس، تحقيق ابو الفضل ابراهيم، ص ١٨.

١١ - ينظر : محاضرات في تاريخ النقد عند العرب ص ٣٢٢-٣٢٣.

١٢ - ديوان امرئ القيس ، ص ٩.

لذا صور لقاءه بهنّ بأنه كان لقاءً شاملاً اثنتين اثنتين أو جماعات ، مرضعات أو غير متزوجات وهو بهذا كان يرد على هواجسه الداخلية التي تقض مضجعه كقوله في إحدى قصائده "١٣":

أرانا موضعين لأمر غيبٍ
عصافيرٌ وذبانٌ ودودٌ
فبعض اللوم عادلتي فأني
إلى عرق الثرى وشجت عروقي
ونسحر بالطعام وبالشراب
وأجراً من مجلحة الذئاب
ستكفيني التجارب وانتسابي
وهذا الموت يسلبني شبابي

فعبارته (وهذا الموت) يشعرنا بأن شبح الموت يحيطه وهو قريب منه لذا اضطر إلى الإشارة إليه فكيف يواجه هذه القدرية الجارفة ولعل في كثرة الغزل ما يخفف عبء هذه الأزمة النفسية التي طوت حياة الشاعر امرئ القيس على الرغم من تظاهره ومكابرتة أنه كان مبتهجاً مسروراً .

الفصل الثاني

سمات غزل الشاعر الموضوعية

أولاً: انه غزل فاضح
ثانياً : كثرة الغزل بالمتزوجات والمرضعات
ثالثاً : مظاهر الفحش في غزله
رابعاً : ربط الغزل بمعانٍ آخر

١٣ - ديوان امرؤ القيس ، ص ٩٧-٩٨ .

أولاً: إنه غزل فاضح

يكشف لنا الشاعر امرؤ القيس من خلال شعره الغزلي عن حياته الباسمة اللاهية معبراً فيه عما يدور في خلجات نفسه من قصص وما تحمله تلك القصص من أحداث ومشاعر.. مازجاً لها بفنون القصيدة (تدعى بالغزل أو النسيب أو التشبيب) "١٤" ولو تأملنا شعره لتبين لنا انه شاعر مفتون يحب الجمال أينما كان متقلباً بشهواته مع النساء متنقلاً في هواه تنقل النحلة من زهرة إلى أخرى .. حيث اقترن بالمرأة ووعاها بدقة وسرت في دمه وعاشت في عقله وهو يصفها كيف تلعب بعقول الرجال ولا يفلت منها حلیم عاقل أو غيره .. يقول "١٥":

إلى مثلها يرنو الحلیم صباية
تسلت عمايات الرجال عن الصبا
وإذا ما اسبكرت بين درع ومجول
وليس فؤادي عن هواك بمنسل
وكما ذكرنا في فصل سابق من بحثنا ان امرأ القيس كان قد تخطى التقاليد الاجتماعية في المجتمع الجاهلي ، والتي لا تسمح للشاعر ان ينفرد بالفتاة ليقضي لبانة حبه لكنه تخطى ذلك من خلال شعره الفاضح كالذي يبين فيه انسياحه إلى محبوبته خلسة وخروجه منها "١٦" حيث يقول "١٧":

وبيضة خدر لا يرام خباؤها
تجاوزت أحراساً إليها ومعشراً
إذا ما الثريا في السماء تعرضت
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها
فقلت يمين الله مالك حيلة
فقلت يمين الله مالك حيلة
خرجت بها امشي تجر وراءنا
فلما اجزنا ساحة الحي وانتحي
هصرت بفودي رأسها فتمايلت
مهفهفة بيضاء غير مفاضة
كما انه صرح قبل ذلك بحبه لابنة عمه غنيزه وما حصل له في هودجها دون مراعاة لتلك النظم الاجتماعية قائلاً "١٨":

ويوم دخلت الخدر خدر غنيزة
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً
فقلت لها سييري وأرخي زمامه
فقلت لك الويلات انك مرجلي
عقرت بعيري ياأمرأ القيس فأنزل
ولا تبعديني من جنائك المعلل

١٤ - ينظر القصة في مقدمة القصيدة العربية في العصرين الجاهلي والإسلامي د. علي جابر المنصوري / ط١ - مطبعة جامعة بغداد - ١٩٩٠م ص ٦٠.

١٥ - شرح المعلمات السبع للزوزني، ص ٣٦ ، والديوان ص ١٨.

١٦ - ينظر القصة في مقدمة القصيدة العربية .. مصدر سابق ص ٧١ .

١٧ - الديوان ص ١٣-١٥.

١٨ - ينظر الديوان ، ص ١١-١٢.

وبهذا يشير إشارة واضحة إلى انه قد عانقها وشمها وقبلها في هودجها وفي مكان آخر بين دخوله على إحدى الفتيات وكيف أفزعها كما يفزع ولد الضبية الطويل العنق الذي وصفه بمكحول المدامع الاتلع يقول^{١٩} :

تقول وقد جردتها من ثيابها
كما رعت مكحول المدامع أتلعا
ويعلن عن حبه لابنة الغوي (ميا) حيث يقول^{٢٠} :

الأحي ابنة الغوي ميا
لعمرك إنني لأحب ميا
ولو إني أخير بين ميا
ألا يا ميا إنك أنت ميا
وان بعدت نواها من نويًا
كحب محلاً ظمأن رياً
وليلة ناعم لاخترت ميا
عز الناس كلهم عليًا

وإذ يقول^{٢١} :

دخلت على بيضاء جم عظامها
وكقوله^{٢٢} :

تميل إذا ما انتنت للضجيع
ومثل المهاة إذا أقبلت
وهيفاء لقاء خمصانة
كميل الكثيب إذا ما استهل
ومثل الغزال إذا ما ابل
مبتلة الخلق ريا الكفل

وإذ يقول^{٢٣} :

وعاذلة بكرت غداة
وكنت امرأ مغرمًا في الشباب
فأصبح قد بان منى السفاه
فهذه النماذج التي اخترتها من ديوان الشاعر تشير إشارة واضحة إلى معانيه الغزلية الفاضحة والى تهتكه في الوصف حيث ان المرأة غدت لعبة يلهو بها وليس ثمة مشاعر حب صادقة تنبعث من الوجدان تجاه من يحب بدليل انه يلهو ويعبث بالمرأة أنى شاء دون رادع من حياء أو عرف اجتماعي .

ثانياً

كثرة الغزل بالمتزوجات أو المرضعات سبق ان اشرنا إلى ان بواعث الشعر كثيرة ومنها بواعث تجعل الشاعر يقول الشعر بفنونه المختلفة كما ذكرنا من البواعث ما يصلح لقول فن من فنون الشعر ولا يصلح

١٩ - م.ن ص ٢٤١ .

٢٠ - م.ن ص ٢٥٩ .

٢١ - الديوان ص ١٧١ .

٢٢ - م.ن ص ٣٢٠ .

٢٣ - م.ن ص ٣٢١ .

لغيره كالخلوة في ذكر الأحباب التي لا تصلح للهجاء والمديح وإنما قد تختص بقول الغزل وقول الغزل أيضاً ألوان مختلفة قد تختص بلونين هما :

١- الغزل العفيف (العذري)

٢- الغزل الفاضح (الماجن)

فمن الأمور التي تدعو إلى الغزل الفاضح والذي يشمل الغزل بالمتزوجات وغيرهن من الجميلات في شعر امرئ القيس قد تكون هنالك أمور نفسية أو أسباب جنسية تجعل الشاعر يلتجأ إلى مثل هذا النوع من الغزل إضافة إلى ما هيأته له أسباب الحياة اللاهية والحال الميسورة وما كان يتمتع به الشاعر من جمال الصورة ووسامة الخلق إلا انه كان كما ذكر بعض الرواة ما نصه (كان امرؤ القيس وسيماً جميلاً ، مع جماله وحسنه كان مفركاً^{٢٤} لا تريده النساء إذا جربنه ، وقال لامرأة تزوجها ما يكره النساء مني ؟ قالت يكرهن منك أنك ثقيلُ الصدر خفيف العجز سريع الإراقة بطيء الافاقه وسأل أخرى عن مثل ذلك فقالت : يكرهن منك انك إذا عرقت فحت بريح كلب ، فقال : أنت صدقتيني ، إن أهلي أرضعوني بلبن كلبة . ولم تصبر عليه إلا امرأة من كنده يقال لها هند ، وكان أكثر ولده منها)^{٢٥}

وهذا ان صح فهو سبب مهم جعل الشاعر يكابر في ذلك ويحاول ان يغلب على مثل هذا الحال بما يبينه في أشعاره من انه معشوق من قبل النساء وانه يصل إلى ما يريد منهم رغم كل الأسباب والمعوقات التي تعيق طريقه وهو يقول^{٢٦} :

سموت إليها بعدما نام أهلها	سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالٍ
فقالَت سبائك الله أنك فاضحي	الست ترى السّمار والناس أحوالي
فقلت يمين الله أبرح قاعداً	ولو قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي
حلفت لها بالله حلفة فاجر	لناموا فما ان من حديث ولا صال
وصرنا إلى الحسني ورق كلامنا	ورُضْتُ فذَلَّتْ صَعْبَةً أَيِ إِذْلال
فأصبحت معشوقاً وأصبح بعلمها	عليه القتام سيء الظن والبال

وهذا مما يعاب عليه من تصريح (بالزنا ودبيب إلى حرم الناس والشعراء تتوقى ذلك في الشعر وان فعلته)^{٢٧} وكان امرؤ القيس يُعد من عشاق العرب وزناتهم كما كان يشبب بالنساء كفاطمة بنت العبيد بن ثعلبه بن عامر العذرية حيث يقول^{٢٨} :

افاطم مهلاً بعض هذا التدلل	وان كنت قد أزمعت صرمني فأجملي
----------------------------	-------------------------------

كما يقول^{٢٩} :

٢٤ - مفركاً: مكروهاً من قبل النساء .. والمرأة الفارك المبغضه لزوجها.

٢٥ - ينظر الشعر والشعراء / ابن قتيبة ، ج ١ ، ص ١٢١ .

٢٦ - ينظر الديوان ص ٣١-٣٢ .

٢٧ - ينظر الشعر والشعراء مصدر سابق ص ١٣٥ .

٢٨ - ينظر الديوان ص ١٢ .

فلا وأبيك ابنة العامري
لا يدعى القوم أني أفر
إذن فالشاعر كان يدفع عن نفسه ألم يحس به من تلك الأمور التي ذكرت والتي تعد معائب
في الرجال لذا لجأ إلى كثرة التغزل بالمتزوجات والتصريح بأسمائهن والتقليل من شأن
أزواجهن حيث يصرفن النظر عنهم ويصوبن نظرهن إليه لما له من ميزه كبيرة على
الرجال كما يدعيها تدعو النساء يعشقته ويتغزلن به ذلك ليتخلص مما يحس به من ألم
داخلي لما ذكرنا من تلك الأمور النفسية والجنسية .

ثالثاً :

مظاهر الفحش في غزله :

أما مظاهر الفحش في غزله فكثيرة هي وقد أخذت معلقته منها الحظ الأوفر في ذلك إذ
يقول "٣٠" :

ومثلك حبلى قد طرقت ومرضع
فألهيته عن ذي تمانم محول
إذا ما بكى من خلفها انحرفت له
بشق وشق عندنا لم يحول
ولعل هذا البيت يعد أفحش بيت في الغزل وأفحش ما قاله امرؤ القيس .
وكقوله "٣١" :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها
تجاوزت احراساً إليها ومعشراً
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها
لهصرت بفؤدي رأسها فتمايلت
مهفهفة بيضاء غير مفاضة
وقال "٣٢" :

دخلت على بيضاء جم عظامها
تُعفي بذيل الدرع إذ جنت مودقي
وقوله "٣٣" :

عظيمة حلم إذا استنطقت
تميل إذا ما أنتنت للضجيع
وفي قوله "٣٤" :

تقول وقد جردتها من ثيابها
وامرؤ القيس هو الذي سبق إلى الغزل الفاحش الصريح وتبعه الشعراء من بعده وان لم
يبلغوا مبلغه من الفحش والصراحة ..

٢٩- ينظر الديوان ص ١٥٤ .

٣٠ - الديوان ص ١٢ .

٣١ - الديوان ص ١٣-١٥ .

٣٢ - الديوان ص ١٧١ .

٣٣ - الديوان ص ٢٩٦-٢٩٧ .

٣٤ - الديوان ص ٢٤١ .

ولعله من اجل ذلك ذكره النبي (ص) فقال : (هو قائد الشعراء إلى النار) وفي خبر آخر (معه لواء الشعراء إلى النار) "٣٥".

رابعاً :

ربط الغزل بمعانٍ آخر :

وربط الشاعر غزله بمعانٍ آخر منها ما أخذه من الطبيعة وجمالها .. فهو أول من شبه الثغر في لونه بشوك السيل فقال "٣٦" :

منابته مثل السدوس ولونه
ومنه ما أخذه من الليل وسكونه وهدوءه كما يقول "٣٧" :

وليل كموج البحر أرخى سدوله
فقلت له لما تمطى بصلبه
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
علي بأنواع الهموم ليبتلي
وأردف إعجازاً وناء بكلل
بصبح وما الاصبح منك بأمثل

فهو يخاطب الليل الذي وصفه بالطول راجياً منه الانجلاء كي يحل الصباح ثم يرجع ويقول له ان الصبح ليس بأحسن منك فالهموم متراكمة ليلاً ونهاراً بسبب ما يعانيه من تباع الهوى وشدة الشوق لمن يحب كما اهتم كثيراً بوصف فرسه مستعيناً بالتشبيهات على إحياء الصورة الكلامية وبعث معاني الحركة والنشاط في العبارة فقد شبهه بجمود صخر حظه السيل ومثل نشاطه بإرخاء السرحان وتقريب التنقل كما وصفه بالخفة والانجراد والضمور وحديثه عن وصف فرسه طويل ذكره في مواضع متعددة منها قوله "٣٨" :

وقد أعتدي والظير في وكناتها
مكرّ مفرّ مقبلٍ مدبرٍ معاً
له ايظلا ظبي وساقاً نعامة
بمنجردٍ قيد الأوابد هيكل
كجمود صخر حظه السيل من عل
وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

فالشاعر مولع بوصف فرسه وصيده ولذاته وكأنه يريد ان يضع بين يدي معشوقته فروسيته وشجاعته ومهارته في ركوب الخيل واصطياد الوحش ومما يؤيد هذا الرصد ان الشاعر كثيراً يؤكد ربط الغزل بهذه المعاني على شاكلة قوله مصوراً أيامه الخوالي بعد ان كبر قائلاً "٣٩" :

كأني لم اركب جواداً للذة
ولم اسبأ الزقّ الروي ولم اقل
ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال
نخيلي كزي كزة بعد إجمال

٣٥ - ينظر الشعر والشعراء / ابن قتيبة ص ١٢٦ .

٣٦ - الديوان ص ١٧٨ .

٣٧ - الديوان ص ١٨ .

٣٨ - الديوان ص ١٩-٢١ .

٣٩ - الديوان ص ١٩-٢١ .

ان ترابط هذه المعاني يمثل لنا ان شخصية امرئ القيس ومزاجه يقومان على هذه
الثلاثية .. الفروسية والخمرة والنساء وهي الثلاثية التي أكدها بعده طرفه بن العبد
قائلاً: "٤٠٠":

ولو لا ثلاث هن من عيشة الفتى وحقك لم احفل بما قام عودي
وامرو القيس بوصفه احد الشعراء الفرسان نجده دائم التطرق لتفوقه في الغزل على
معاصريه من حيث الربط بينه وبين معان أخرى مقدماً فيها صورة وصفية غزلية بديعة

الفصل الثالث

المبحث الأول

اللغة والأسلوب

المبحث الثاني

البنية الموسيقية

المبحث الرابع

الصورة الشعرية والعناصر الخيالية

المبحث الأول

اللغة والأسلوب

من خلال الاطلاع على أشعار امرئ القيس خاصة في النسيب والغزل ووصف النساء
والخيل نجد أن عباراته قريبة المنال ليس فيها عسر أو صعوبة .. كما انه كان متسقاً في

٤٠ -ديوان طرفه بن العبد / مع شرح الاديب يوسف الاعلم الشنتمري / طبعة مدينة شالون / مطابع برطرنند - ١٩٠٠م
ص١٠٥.

ترتيب الألفاظ في شعره مستويًا في عباراته وكأنه يملك أزمة اللغة بيده ، وهذا ما يؤيده قول ابن سلام الجمحي في كتاب طبقات فحول الشعراء ما نصه:

((سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها ، واستحسنتها العرب واتبعتة فيها الشعراء منها : استيقاف صحبه، البكاء في الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ وشبه بالضباء والبيض .. وأجاد في التشبيه وفصل بين النسيب وبين المعنى وكان أحسن طبقتة تشبيهاً)) " ٤١ " .
كما كان كثيراً ما يلائم بين ألفاظه فقليل ما نلقى فيها لفظة نابية في حروفها فلغته سلسة سهلة بعيدة عن التكلف والتعقيد .. فلنتأمل قوله في إحدى قصائده الغزلية فهو يقول "٤٢"

فأقبلت زحفاً على الركبتين فثوباً لست وثوباً أجرُ

فالألفاظ رغم سلاستها وعفوية أدائها إلا أنها تظهر لنا قدرة الشاعر على التعبير بما يسمونه النقاد بالسهل الممتنع .. ونقصد به أن الألفاظ والتراكيب تتراءى ميسورة سهلة التناول إلا أنك لا تستطيع أن تأتي بأمثالها أي يمتنع عليك مجاراتها .. وهي أظهر خصائص امرئ القيس في الشعر فالسهولة والوضوح وقوة التأكيد لا تفارق قصائده ولا سيما في غزله . أما من حيث التركيب ونقصد به : التعبير الشعري فإن الشاعر كان سباقاً إلى الإتيان بسهولة التركيب وحسن الصياغة مع قوة السبك . ويرى الباحث أن الصياغة المتماسكة لغةً واداءً متأتية من صدق مشاعر الفنان حيث تصل كلماته وتراكيبه إلى القلب مباشرة دون استئذان لأنها انبعثت من القلب والوجدان على شاكلة قوله معبراً عن لهفته إلى وصف النساء وادعائه انه المعشوق وأنهنَّ المولعات بحبه المعذبات بفراقه قائلاً "٤٣" :

ويا رَبَّ يومٍ قد أروحُ مُرَجَّلاً حبيباً إلى البيضِ الكواعبِ أملسا

يُرْعَنُ إلى صَوْتِي إذا ما سَمِعْتُهُ كما ترعوي عِيطُ إلى صَوْتِ أَعْيَسَا

وهكذا يدعي أن الكواعب : وهي جمع كاعبٍ وهي الفتاة التي كعب ثديها .. أي نهد وارتفع للخروج كيف يرجعن ويملن إليه وهو الشاب الناعم الأملس المسرح أجمه المدهونها يرجعن ويملن إليه حباً به وكلفاً ..

كما ترجع الإبل الطوال الأعناق إلى الاعيس : البعير الأبيض الذي يضرب بياضه إلى الحمرة والشقرة . أما على صعيد المعجم الشعري لغزل الشاعر فنجد أن الألفاظ الرقيقة والأوصاف الجسدية وكنى وألقاب وأسماء المعشوقات قد هيمن على معجمه الغزلي ، فضلاً عن ربطه المرأة وجسدها بصورة من التشبيه سيتطرق إليها الباحث في مبحث آخر ، وعلى الجملة فإن أسلوب امرئ القيس ولغته الشعرية تبدو عن غيره من شعراء عصره إذ أنها صورة مطابقة لخياله ومزاجه وتطلعاته نحو المرأة والطبيعة كما أنها تمثل شعوره وهو جسده ومعاناته النفسية الحادة التي حدثت به أن يخصص جُلَّ شعره لعنصر

٤١ - ينظر طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي ص ٤٦ .

٤٢ - الديوان ص ١٥٩ .

٤٣ - الديوان ص ١٠٦ .

المرأة .. فيقينا أن تنجر أفاظه إلى الرقة والسلاسة لأن مثل تلك الصفات تناسب المرأة المتغزل بها من قبل عاشق وأمير أتاحت له كل أسباب العيش الرغيد واللهو بالمرأة والنيل منها مهما كان نسبها أو مكانتها الاجتماعية .
ونلمح في لغته اعتماده على أساليب بلاغية كالاستفهام والنداء حيث يستغرق الشاعر في بث شكواه وإظهار لوعته كقوله في معلقته مستعملاً النداء "٤٤" :

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل
ثم يقول مستخدماً حرف الاستفهام نفسه "٤٥" :
وان كنت قد أزمعت صرمي فأجملي
أغرّك مني أن حبك قاتلي
وأنتك مهما تأمري القلبَ يفعل
ومن المفاصل البنائية في أسلوبه الغزلي انه يعتمد الحوار بينه وبين معشوقاته لتأكيد المعنى والاستغراق في وصف إقباله على النساء على شاكلة قوله في معلقته "٤٦" :
ويوم دخلت الخدرَ خدرَ غنيزةٍ
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً
فقلت لها سيرري وأرخي زمامه
ثم يقول ثانية بعد أبيات "٤٧" :
وما ان أرى عنك الغواية تنجلي
على أثرينا ذيلَ مرطٍ مرَحَلٍ
بنا بطنَ حَبْتِ ذِي حِقَافِ عَقْتَلِ
عليّ هُضيمِ الكَشْحِ رِيا المَخْلَخِلِ
فقلت يمينَ الله مالِكِ حيلةٍ
خرجت بها أمشي تجرُّ وراءنا
فلما اجزنا ساحةَ الحيِّ وانتحي
هَصرتُ بفؤودي رأسها فتمايلت

المبحث الثاني البنية الموسيقية :

توطئة:

لما كان الشعر مختلفاً عن النثر بالوزن والقافية لذا فإن الوزن والقافية هما عماد الشعر ويعدان من أبرز ما يحتويه الشعر من قوة الإيحاء وبعد الأثر في المتلقي ، ولذا قال قدامه بن جعفر ((الشعر كلام موزون مقفى له معنى)) "٤٨"
لذا أثر الباحث ان يتحدث في هذا المبحث عن البنية الموسيقية بنمطها :

٤٤ - الديوان ص ١٢ .

٤٥ - الديوان ص ١٣ .

٤٦ - الديوان ص ١١-١٢ .

٤٧ - الديوان ص ١٤-١٥ .

٤٨ - ينظر: نقد الشعر - قدامه بن جعفر - تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي ط١ القاهرة ص ٢٨ .

أ- البنية الإيقاعية الخارجية المتمثلة بالبحور الخليلية وما يتبعها من قوافٍ والباحث هنا يتحرى هل استطاعت بحور امرئ القيس في الغزل ان تتناسق مع معانيه وصوره الشعرية بحيث تؤدي الوظيفتين الافهامية والجمالية ؟

فلنتأمل ما قاله امرؤ القيس في هذه الأبيات التي وردت مقدمة لقصيدة طويلة^{٤٩} :

سما لك شوقٌ بعد ما كان اقصرًا وحلت سُليمي بطن فَوْ فَعْرَعْرَا
كنانية بانث وفي الصدرُ ودُّها مجاورةً َّ غَسَّانَ والحيَّ يَعمَرَا
بعينيَّ ظعنُ الحي لما تحمَلوا لدى جانب الافلاج من جنب تيمرا

وهي من البحر الطويل وهذا البحر ذو تشكيلة عروضية معروفة (فعولن - مفاعيلن - مفعولن - مفاعيلن) ولهذه التشكيلة قدرة تمنح الشاعر أفقا واسعا في بث تجاربه الذاتية أو شكواه لان هذه التشكيلة بمقاطعها الطويلة تجعل الفنان قادراً على التعبير بحرية عما يحسه والنموذج السابق الذي اختصرنا تحليله يبدو مصداقاً لهذه الظاهرة الموسيقية . ولنطالع أنموذجا ثانياً من شعره الغزلي الذي يقول فيه "٥٠" :

أحار بن عمرو وكأني خمُرُ ويَعْدُو على المرء ما يَأتمُرُ
فلا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أنني أفرُّ

إلى أن يقول :

وهرُّ تصيدُ قلوب الرجال وأفلت منها ابنُ عمرو حُجُرُ
رمتني بسهم أصاب الفؤاد غداة الرحيل فلم انتصُرُ
فأسبل دمعي كفضّ الجمان أو الدرُّ رِقراقُهُ المنحدرُ
وإذ هي تمشي كمشي النزيف يصرعه بالكثيب البُهْرُ

فهذه التشكيلة العروضية المتكونة من تفعيلة (فعولن) ثمان مرات وهذه التفعيلة المتضمنة لتلاحق الأوتاد والأسباب وكأنما تمثل القفز وكأنك تكرر بسرعة (لن فعو - لن فعو - لن فعو) وهكذا تكون دورة المتقارب المظهرة للتلاحق وسرعة الحركة مع الخفة والانتظام .

أما القافية وهي الدعامة الثانية للوزن وهي الوحدة الموسيقية التي تمثل نهاية الموجة النغمية للبيت حيث يتوقع السامع تكرارها في أوقات منتظمة وكأنما هي تعمل على هندسة الأبيات هندسة موسيقية وعلى صعيد غزل امرئ القيس نرى قوافيه في قصائده الغزلية جاءت معبرة عن عاطفته وكأنما كانت القوافي قد استدعتها العاطفة الساندة في نصوصه ، وابتداءً من المعلقة نجد ان حرف الروي فيها وهو اللام التي عرفت بليونتها إذ جاء هذا الروي مكسوراً والكسرة تمثل امتداداً للياء مما يتلاءم وعاطفة الشاعر الرقيقة المنكسرة تجاه محبوباته وهكذا اختيرت القافية بهذه المعلقة بكل نجاح لتخدم مضمون الشاعر الغزلي ولسنا بحاجة إلى الإتيان بأبيات من المعلقة لكثرة استشهادنا بها في مباحثنا ، وقد

٤٩ - الديوان ص ٥٦ .

٥٠ - الديوان ص ١٥٤-١٥٦ .

يأتي الشاعر بروي يتبعه بحرف الإطلاق اشباعاً للمد ليكون التأثير الموسيقي التقفوي على أشده ويمثل هذا قوله "٥١" :

الأحيّ ابنة الغويّ ميّا
لعمرك إنني لأحبّ ميّا
ولو أني أخير بين ميّ
ألا يا ميّ انك أنت ميّا
وان بعدت نواها من نويّا
كحب محلاً ظمأن رياً
وليلة ناعم لاخترت ميّا
اعز الناس كلهم عليّا

ففي هذه المقطعة طغى الثراء الموسيقي المتمثل بتشكيلة البحر الوافر المعروفة بمقاطعها الطويلة فضلاً عن الأداء التقفوي الذي اختاره الشاعر ليوافق كثرة المقاطع الطويلة حيث ان القيمة الصوتية لتواتر المقاطع الطويلة في البيت تتأتى من قدرة الشاعر على التعبير عما يتلجج في صدره لأنه من الناحية الفيزيائية ان المقطع الطويل يؤدي قدرة صوتية وهذا بدوره يقدم عوناً للمعنى .
ب- البنية الإيقاعية الداخلية :

وتسمى هذه البنية بالإيقاع الحر أو المقيد ، كالبنية الخارجية . وهنا يتفاوت الشعراء قدرةً وعطاءً ، فمنهم من يوظف الإيقاع الداخلي في قصيدته توظيفاً أمثل ليسند به إيقاعه الخارجي المتمثل بالبحر الخليلي والقافية ومنهم من لم يوفق إلى الإيقاع الداخلي فتاتي أبياته مفتقرة إلى التأثير في المتلقي ، ونحسب ان امرأ القيس قد اهتدى أو ان عاطفته الصادقة وقوة طبعه قادتة إلى توظيف عناصر الإيقاع توظيفاً شعرياً . ولكن ما عناصر الإيقاع الداخلي المتوافرة في ديوانه ؟ يتقدم هذه العناصر التقسيم المقطعي والتوازن الصوتي الذي أحدثه الشاعر في أكثر أبياته كقوله "٥٢" :

فلما دنوتُ تسديتها
وئمة توازن صوتي أخر أحدثه الشاعر في بيت غزلي له "٥٣" :
فثوباً نسيتُ وثوباً اجرُ
كأنّ المدام وصوب الغمام
يعلُّ به بردُ أنيابها
وريح الخزامى ونشر القطرُ
إذا طرب الطائرُ المستجرُ

والعنصر الثاني الذي تسبب في الثراء الموسيقي الداخلي في شعر امرئ القيس هو التكرار . والتكرار يعد وسيلة من الوسائل الموسيقية التي تسلط الضوء على نفسية الفنان ، وهو (تناوب الألفاظ وأعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغماً موسيقياً تقصده الناظم في شعره) "٥٤"

٥١ - الديوان ص ٢٥٩ .

٥٢ - الديوان ص ١٥٩ .

٥٣ - الديوان ص ١٥٧-١٥٨ .

٥٤ - جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب / د. ماهر مهدي هلال / دار الحرية للطباعة بغداد

١٩٨٩ ص ٢٣٩ .

وهو في حقيقته (إلاح على جهة هامة في العبارة يعني بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها) "٥٥"

ويقسم التكرار إلى تكرار الحروف وتكرار اللفظ .. ومن تكرار الحروف في غزل امرئ القيس قوله في مطلع قصيدة له "٥٦" :

صحا اليوم قلبي عن لميس واقصرا
وجن بها ما جُنَّ ثَمَّتَ ابصرا
فقد ترى تكرار صوت (الصاد) في البيت وهو احد أصوات الصفير في اللغة العربية وغيرها "٥٧" . ولو تحرينا ديوانه نجد كثيراً من الجناس الحرفي لأصوات مختلفة تؤدي مدلولات أرادها الشاعر ان تؤكد للمتلقى المعاني التي قصدها الشاعر . أما تكرار الألفاظ والتراكيب فهي الأخرى كثيرة في غزله على شاكلة قوله الأتي "٥٨" :

فإن أمس مكروباً فيا ربّ قينة
وإن أمس مكروباً فيا ربّ بهمة
وإن أمس مكروباً فيا ربّ غارة
فالشاعر هنا كرر العبارة (فإن امسي مكروباً) ثلاث مرات مما يؤكد الحاح الشاعر على مثل هذا المضمون ليوصله إلى المتلقي متخذاً من التكرار وسيلة موسيقية تؤكد مضمونه إضافة إلى خلق النغمة الموسيقية التي يتطلبه بحر القصيدة (الطويل).
ويمكن للباحث ان يقع على عشرات المواضع في ديوانه توافر فيها هذا النمط من التكرار الموحى بقوة المعنى .

المبحث الثالث :

الصورة الشعرية والعناصر الخيالية :

وهي البنية التركيبية من النص الشعري وقد عدها النقاد القدامى والمحدثون بمثابة روح الشعر وجوهره . ويرى الدكتور صلاح فضل ان (الصورة الشعرية جوهر فن الشعر ... تحرير الطاقة الشعرية الكامنة في العلم والتي يحتفظ بها النثر أسيرة لديه) "٥٩" .
كما يرى باحث آخر أنها (أي الصورة) (تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة ليقف العالم المحسوس في مقدمتها ، فأغلب الصور من الحواس إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية) "٦٠" .
أما القدماء فنكتفي برأي المفكر الجاحظ حيث يقول (فإنما الشعر صناعه وضرب من النسيج وجنس من التصوير) "٦١" .

٥٥ - قضايا الشعر المعاصر/ نازك الملائكة - ط ٢ مكتبة النهضة بغداد، ١٩٦٥ ص ٢٤٢ .

٥٦ - الديوان ص ٢٦٥ .

٥٧ - ينظر: موسيقى الشعر عند البحرني/ حميد يعقوب نعيمة/ رسالة ماجستير - جامعة بغداد ص ٧٩ .

٥٨ - الديوان ص ٨٦ .

٥٩ - النظرية البنائية في النقد الأدبي / د. صلاح فضل - مكتبة الانجلو المصرية / المطبعة الفنية الحديثة ١٩٨٠ ص ٣٥٦ .

٦٠ - الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري / د. علي البطل / دار الأندلس ط ١ ١٩٨٤ ص ٣٠ .

٦١ - الحيوان .. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ / تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون/ ط ٣ دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٩ ج ٣ / ١٣٢ .

أما الخيال فهو الذي يصنع الصورة وهو القوة السحرية في القصيدة بل هو أهم عناصرها ولنأت بعد هذا التنظير الموجز لنرى قدرة خيال امرئ القيس على تكوين صور مختلفة في غزله لأن الخيال وحده يميز الفنان المبدع من غيره .

ولم يكتف امرؤ القيس بأجراء الحوار مع حبيباته وما طلبه منهن من الفحش والغواية بل راح يؤسس في قصائده لمشاهد قصصية تطول أو تقصر بحسب الموضوعات الغزلية التي أراد الشاعر أن يستعرض فيها فحولته المزعومة وتهالك النساء عليه لذا جاءت مشاهد القصصية معرضاً للوصف ولغنائته المتمثلة بفخره بالشجاعة واقتحام الأهوال من أجل الوصول إلى معشوقاته ، ولم يأت وصفه نفسه بالشجاعة إلا بعد أن يصف الصعوبة في الوصول إلى تلك المرأة المخدرة التي يحرسها الكثير، وعلى الرغم من ذلك فهو يصل إلى خدرها وينال بغيته منها ليلاً غير مكترث وغير آبه بما تجره عليه عواقب ذلك ومما يؤيد هذا الرصد أشعاره الكثيرة ومنها قوله "٦٢" :

وبيضة خدر لا يرامُ خباؤها
تجاوزتُ أحراساً إليها ومَعشراً
إذا ما الثريا في السماء تعرّضتْ
فَجِنْتُ وقد نصتُ لنوم ثيلها
تمتعتُ من لهُو بها غير مُعجَلِ
عليّ حِراساً لو يُسروُنَ مقتلي
تعرّضْ اثناء الوشاح المَفْصَلِ
لدى السترِ إلا لبسة المفضلِ

يتبين مما قلناه في هذا المبحث الذي أردنا أن يجيء مختصراً مشيراً إلى نقاط القوة في أسلوب امرئ القيس الشعري ، يتبين أن أ ظهر سمات أسلوبه بساطة التعبير ووضوح المقصد مع التصرف الذي يقوده الطبع السليم بالأساليب البيانية كالاستفهام والتعجب والنفي فضلاً عن الخصائص الأسلوبية التي كان يميزها الحوار والمنحى القصصي ، وأكثر قصائده ومقطعاته في الغزل ظلت معرضاً يتأثر بها المتأثرون بمعانيها ومبانيها إلى يومنا هذا . لذا يحق لنا أن نؤكد ما قاله النقاد الأقدمون من إن امرأ القيس ابتدع كثيراً من المعاني الغزلية كاستيقاف الصحب وتشبيه النساء بمشبهات كثيرة وأول من افتتح غزله بالبكاء وتبعه الشعراء بعد .

أولاً: الصورة التشبيهية :

وهي الصورة التي تقوم على التشبيه وهو (أي التشبيه) إيجاد علاقة بين الأشياء التي شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة يجمع بينهما وجه التشابه وتبقى العملية الإبداعية في التشبيه تركز الثقل على المشبه به دون الشبه . وقد كثرت التشبهات في غزل امرئ القيس وقد مر بنا في مباحثنا السابقة أن النقاد القدامى عدوه (أحسن طبقته تشبيهاً) ونتأمل نماذج من الصورة الشعرية القائمة على التشبيه كقوله "٦٣" :

كأني غداة البين يوم تحملوا
لدى سمرات الحي ناقف حنظل

٦٦ - الديوان ص ١٣ - ١٤ .

٦٧ - الديوان ص ٩ و ١٧ .

فهذه الصورة الشعرية تستند إلى تشبيه الشاعر نفسه طعن أحبابه بناقف حنظل ، وناقف الحنظل لا يملك سيلان دمه مثلما لا يملك سيلان الدمع من فارق أحبابه واشتد حزنه وشوقه إليهم وثمة صورة أخرى تشبيهه ترينا ولع الشاعر بالتشبيهات ففي بيت واحد يعرض أكثر من صورة تشبيهية قائلًا^{٦٤} :

وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقي المذل .

فهاتان الصورتان التشبيهيتان قامتتا على التشبيه الحسي فخصر معشوقته شبه بزمام يتخذ من سيور وهو لين وشبه ساقها بالأنبوب وذكر كلمة (المذل) لأنه يسقى ويكرم ، ويطول بنا المقام لو تحرينا تشبيهات الشاعر في غزله بأنواعها المختلفة من حسي وعقلي بيد بعض تشبيهاته التي هي من قبيل الخيال الغريب الذي يصل إلى درجة الوهم قد يلتفت نظر الباحث كهذه الصورة التي تضمنها بيته فقال مَنْ يصدده عن غايته في الوصول إلى لذته من النساء فقال^{٦٥} :

أيقنتني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب اغوال .

فالمشبه به هنا (أنياب الاغوال) غير مألوفة عند العرب فهم لم يروا الغول إنما سمعوا خرافة تحكي فعل هذا الوحش .. فالصورة التشبيهية هنا خرجت عن المألوف والخيال فيها انطلق من الذهن ولم ينطلق من الحس .

بيد أنّ النقاد التمسوا العذر للشاعر وجعلوا هذه الصورة التشبيهية مستساغة لأنّ القرآن الكريم وردت فيه صورة تشبيهية تماثل صورة امرئ القيس في اعتمادها على الخيال غير المألوف فقال سبحانه وتعالى : ((طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ))^{٦٦} وما أكثر الصور التشبيهية في غزله ولنكتفِ بهذا القدر معرجين على النمط الثاني .

ثانياً

الصورة الاستعارية

والاستعارة كما هو معروف تشبيه حذف احد طرفيه فإن حذفنا المشبه سميناه استعارة تصريحية وان حذفنا المشبه به وأبقينا لازمه من لوازمه سميت الاستعارة مكنية وهي اقدر من التشبيه الموحى لقوة المعنى .

ومن استعارته في الغزل قوله^{٦٧} :

أنت حجج بعدي عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان

فالاستعارة تتراءى في قوله (أنت حجج) والحجج هي السنين وهي لأن تأتي لا الإنسان يأتي شبه الحجج بالإنسان وحذف المشبه به وأبقى لازمه من لوازمه وهي الإتيان

^{٦٤} - الديوان ص ٩ و ١٧ .

^{٦٥} - م.ن. ص ٣٣ .

^{٦٦} - الصافات / آية ٦٥ .

^{٦٧} - الديوان ص ٨٩ .

والسعي ودفعاً للاطلاع اثر الباحث أن يكتفي بهذا النموذج من الصور الاستعارية تاركاً القارئ يتحرى الصور الاستعارية الأخرى في ديوان الشاعر .

ثالثاً

الكناية :

الكناية هي أن الشاعر يريد أثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى ما هو تاليه وردفه في الوجود فيومي به إليه ويجعله دليلاً عليه "٦٨" .

ونقع في ديوان امرئ القيس على عدد من الكنايات في معانيه الغزلية ولنكتف بهذه الصورة الكنائية التي ترينا قدرة الشاعر الفنية على وصف المرأة المنعمة المدللة فقال :
وتضحى فتيت المسك فوق فراشها
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
ويقوم معنى البيت على الكناية عن صفة المرأة فهي تارة مخدومة تستغرق في النوم إلى الضحى أي أنها لا تهتم بأمرها ، وتارة أخرى لم تشد عليها نطاقاً بعد تفضل والتفضل لبس ثوب واحد وهي ليست بخادم فتفضل وتنتطق للخدمة .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في الغزل في شعر امرئ القيس وجدناها عالماً مشبعاً بفن متميز اكدته المصادر التي اطلعنا عليها قديمها وحديثها ان لامرئ القيس شخصية فنية فريدة ولا غرو ان نجد له مكانة متميزة في ادبنا العربي وتأتي هذه المكانة من نواح ثلاث .
الاولى: انه أول من بكى وأبكى ووقف واستوقف وذكر الأصحاب والراجلين (١) فهو مبتكر على حد زعم الدارسين لكثير من المعاني ولا سيما الغزلية، كما انه على حد زعمهم اول من اصل الرقة في غزلنا العربي واستحسن البكاء في الغزل، بيد ان باحثاً حديثاً يرى ان هذا الراي يجب ان يؤخذ بحذر شديد (٢) ..
اما الناحية الثانية: التي تميز بها شعره ولاسيما الغزل فهي تكمن في ان كثيراً من الشعراء تاثرو بألفاظه وقلدوا أسلوبه الفني في محاولة لبلوغ شأوه وأنى لهم ذلك... فهو شخصية

٦٨ - ينظر: دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني/ تحقيق د. فائز الراية ط ٢، مكتبة سعد الدين - دمشق ١٩٨٧ ص ١٠٥

(١) ينظر طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، ص ٦٤ و ٦٧، وكذلك الشعر والشعراء، بن قتيبة ص ٥٧.

(٢) ينظر تاريخ الادب العربي قبل الاسلام، د.نوري حمودي وزميليه ص ٣٠٩.

فنية متميزة.. أظهرت سماته الفنية البساطة في التعبير والوضوح في المعاني، وهو ما يعرف بالسهل الممتنع.. وهذا ما توصلنا إليه من خلال قراءة قصائده الغزلية..
أما الثالثة.. كانت ألفاظه جزلة، كثير الغريب، سريع الخاطر، وبديع التشبيه والخيال.. ذو نزعة إبداعية، يلائم بين الصور وأسبابها، فما كان له الأثر في نفسه يطيل في وصفه أما الأمر الذي لا يشكل في نفسه أثرا عميقا فيقصر فيه.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. أشعار الشعراء الستة الجاهليين/الأعلم الشنتمري/ط١ دار القامة الجديدة- بيروت ١٩٧٩.
٣. الأغاني/أبو الفرج الأصفهاني/تحقيق عبد الكريم الغرباوي والدكتور عبد العزيز مطر/إشراف محمد ابوالفضل إبراهيم/الهيئة المصرية العامة للكتاب-١٩٧٤-ج٢٤.
٤. تاريخ الأدب العربي/أحمد حسن الزيات/ط١٣/دار المعرفة-بيروت-لبنان / ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩ م.
٥. تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام/د.نوري حمودي وزميله/وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٨٩م.
٦. جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب/د.ماهر مهدي هلال/دار الحرية للطباعة-بغداد-١٩٨٩ م.
٧. الحيوان/أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ/تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون/ط٣- دار الكتاب العربي - بيروت- ١٩٦٩.
٨. دلائل الإعجاز/عبد القاهر الجرجاني/تحقيق د.فائز الراية/ط٢-مكتبة سعد الدين-دمشق- ١٩٨٧.
٩. ديوان امرئ القيس/تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم-دار المعارف-مصر.
١٠. ديوان طرفه بن العبد. / مع شرح الأديب يوسف الاعلم الشنتمري / طبعة مدينة شالون / مطابع برطرنند - ١٩٠٠م.
١١. شرح المعلقات السبع/للزوزني/ ضبط محمد علي حمد الله / المكتبة الاموية - دمشق - ١٩٦٣.
١٢. الشعر الجاهلي/دراسة في تأويلاته النفسية والفنية/د.سعد حسون/مطبعة دار

دجلة-الأردن-عمان/٢٠٠٧ م.

١٣. الشعر والشعراء/ابن قتيبة/تحقيق وشرح احمد محمد شاكر-ط٢-القاهرة-١٩٩٨م.
١٤. الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري/د.علي البطل/ط١-دار الأندلس.
١٥. طبقات فحول الشعراء/ابن سلام الجمحي.
١٦. القصة في مقدمة القصيدة العربية في العصرين الجاهلي والإسلامي/د.علي جابر المنصوري/ط١-مطبعة جامعة بغداد-١٩٩٠م.
١٧. قضايا الشعر المعاصر-نازك الملائكة-ط٢-مكتبة النهضة-بغداد-١٩٦٥م.
١٨. محاضرات في تاريخ النقد عند العرب/د.ابتسام مرهون الصفار،د.ناصر حلاوي ط٢-١٩٩٩م.
١٩. موسيقى الشعر عند البحري/حميد يعقوب نعيمة/رسالة ماجستير- جامعة بغداد.
٢٠. النظرية البنائية في النقد الأدبي/د.صلاح فضل/مكتبة الانجلو المصرية/المطبعة الفنية الحديثة-١٩٨٠.
٢١. نقد الشعر/قدامة بن جعفر/تحقيق د.محمد عبد المنعم خفاجي/ط١-القاهرة.